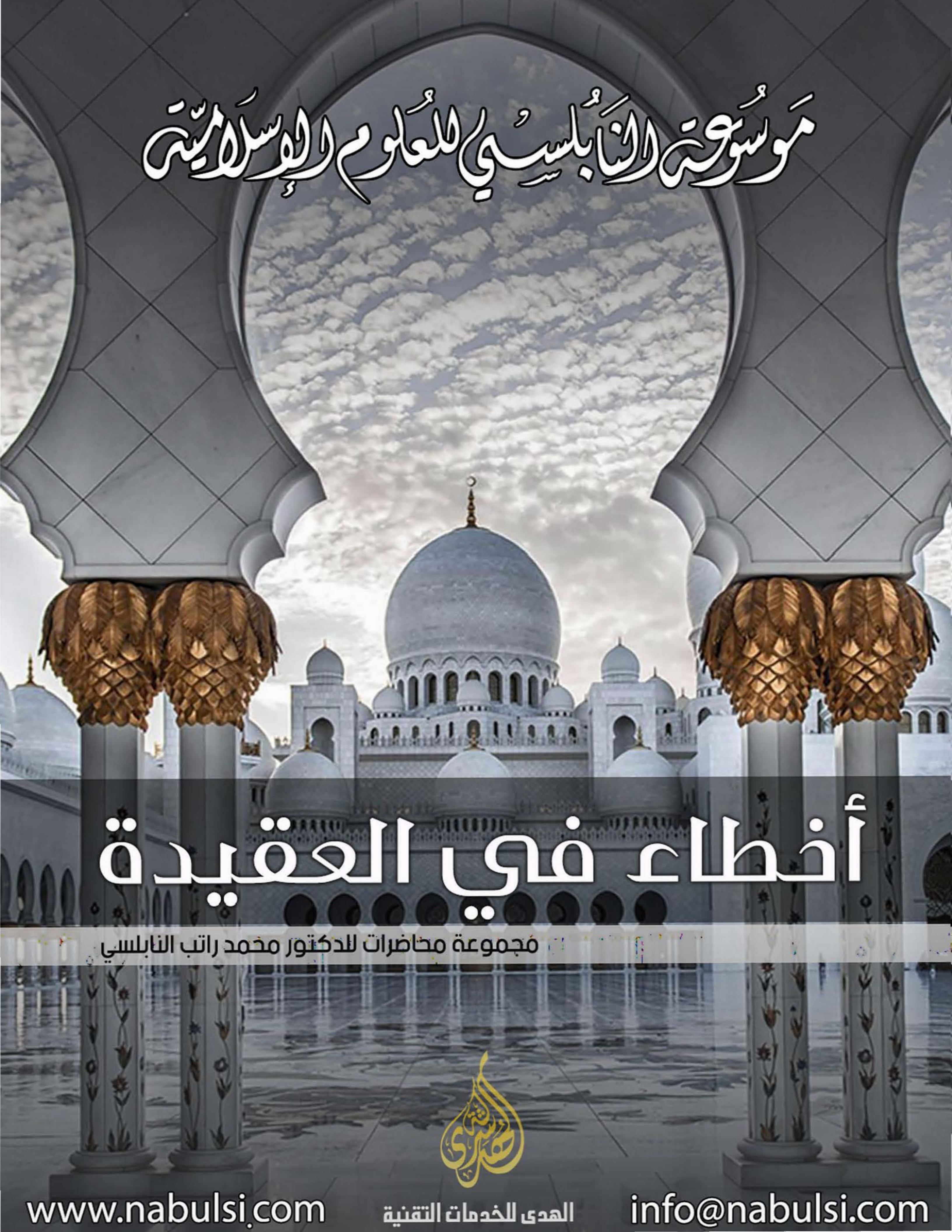


مَوسُوعَة النَابُلسِي للعُلوم الإسلاميّة
أخطاء في العقيدة
مجموعة محاضرات للدكتور محمد راتب النابلسي
www.nabulsi.com
الهدى للخدمات التقنية
info@nabulsi.com

لمحة عن محتويات الكتاب

إن أعظم نعمة على الإطلاق يُنعم الله بها على المؤمن عقيدته الصحيحة ، ذلك أنّ أيّة عقيدة لا بد أن تنعكسَ على السلوك ، ولو أن العقيدة كانت في منأى عن السلوك فاعتقدْ ما شئت ، ما من نعمة على الإطلاق توازي أن تكون عقيدتك صحيحة.

يتألف الكتاب من 57 صفحة و يتكون من المحاضرات التي ألقاها فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي والتي تتحدث عن الأخطاء في العقيدة.

الفريق الفني

لموسوعة النابلسي للعلوم الاسلامية

في 2020/05/30

تمهيد : أثر العقيدة في حياة الإنسان

بسم اللـه الرحمن الرحيم

العقيدة الصحيحة أعظم نعمة على الإطلاق يُنعِمِ الله بها على المؤمن :

أيها الأخوة الكرام ، الموضوع اليوم موضوع دقيق له مقدمة ، وعرض ، وتطبيق، فالمقدمة : إن أعظم نعمة على الإطلاق يُنعِمِ الله بها على المؤمن عقيدته الصحيحة ، ذلك أنّ أيّة عقيدة لا بد أن تنعكس على السلوك ، ولو أن العقيدة كانت في منأى عن السلوك فاعتقدْ ما شئت ولكن ما من عقيدة إلا ولها منعكس سلوكي ، ولأنّ السلوكَ أساسُ تقييمِ الإنسان عند الله، وأساس سعادته وشقائه في الدنيا والآخرة ، لذلك تنطلق الأخطاء من عقيدة فاسدة ، كما ينطلق التقصير من عقيدة فاسدة ، ينطلق الخوف من عقيدة فاسدة ، وينطلق النفاق من عقيدة فاسدة ، وينطلق الظلم من عقيدة فاسدة، وينطلق الإجرام من عقيدة فاسدة ، فما من نعمة على الإطلاق توازي أن تكون عقيدتك صحيحة ، وفق ما جاء في الكتاب وفي سنة النبي عليه الصلاة والسلام، وأضرب لكم بعض الأمثلة : مَن اعتقد أن الإنسان مجبَر على أعماله شلَّت إمكانيته ، وما من عقيدة سبَّبَتْ تخلف العالم الإسلامي في هذه السنوات ، وهذه الحقب المتتابعة كعقيدة الجبر ، كل شيء مجبور عليه حسب هذه العقيدة ، طاعاتك ، وسيئاتك ، ومعاصيك، فهذه العقيدة تشلُّ الإنسان.

جاء رجل إلى سيدنا عمر وقد شرب خمرًا ، قال : أقيموا عليه الحد ، قال : واللهِ يا أمير المؤمنين إنّ الله قدّر عليه ذلك ، فقال : أقيموا عليه الحد مرتين ؛ مرةً لأنه شرب الخمر ، ومرةً لأنه افترى على الله ، ويحك يا هذا إنّ قضاء الله لم يخرجك من الاختيار إلى الاضطرار .

فحينما يعتقد الإنسان أنه مجبور فقد بطل الثواب والعقاب ، بطل الوعد والوعيد ، بطلت الجنة والنار ، بطل إنزال الكتب ، بطل إرسال الرسل ، وقد انتهى كل شيء ، والحياة تمثيلية سمجة ، مِن دون أن تكون مخيراً ، قال تعالى :

﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ﴾

[سورة الإنسان : 3]

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾

[سورة البقرة : 148]

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آَبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾

[سورة النحل : 35]

يكفي أن تعتقد أن الله أجبرك على حسناتك فلا أجر لك بها ، وأن الله أجبرك على سيئاتك فلا وزر عليك ، وانتهى كل شيء ، وما مِن عقيدة فاسدة شلّت العالم الإسلامي لحقب طويلة كعقيدة الجبر ، يكفي أن تعتقد اعتقاداً بالشفاعة ساذجاً ، فافعلْ ما شئت ، وافعل الكبائر، والنبي عليه الصلاة والسلام سوف يشفع لك ، ماذا قال النبي عليه الصلاة والسلام ؟ " يا فاطمة بنت محمد يا عباس عم رسول الله أنقذا نفسيكما من النار أنا لا أغني عنكما من الله شيئاً لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم من يبطئ به عمله لم يسرع به نسبه" .

يكفي أن تتوهم أنك مهما فعلت فالنبي عليه الصلاة والسلام سيشفع لك ، هذه عقيدة فاسدة ، حملت المسلمين على أن ينحرفوا .

يكفي أن تعتقد أن الله غفور رحيم ، بلا سعي منك ، عندئذ تفعل كل شيء ، لكن هناك ثماني آيات في كتاب الله ، منها :

﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآَمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

[سورة الأعراف : 153]

﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾

[سورة الحجر : 49-50]

أيها الأخوة الكرام ، ما من نعمة ينعم الله بها علينا كنعمة العقيدة السليمة ، أن تكون عقيدتك لا من حكايات القصاصين ، ولا من أوهام المتوهمين ، ولا من ضلالات الضالين، ولكن عقيدتك من وحي السماء ، ومن سنة سيد الأنبياء هذه عقيدتنا .

مبادئ النظرية الغربية :

أيها الأخوة ، لازلنا في نطاق العالم الإسلامي ، ولكن ألا تعتقدون معي أن كل واحد منا يقلقه هذا الطرف الآخر ، الذي يقصف ، ويقتل ، ويسفك ، ويتبختر ، ويتعجرف، ويتغطرس ، كيف يفكر ؟ كيف يتصرَّف ؟

الحقيقة إن لم نطلع على فكر الطرف الآخر لا نستطيع أن نفهم أعمالهم ، أما إذا اطلعنا على أفكارهم وعلى ما يعتقدون فشيء لا يصدق ، وقعت تحت يدي مقالة في طريقها إلى النشر في مجلة إسلامية عن النظرية الغربية ، وعن الفلسفة الغربية ، وإليكم بعض الفقرات ، وسأعلق عليها ، وسأوازنها بما في الكتاب والسنة .

تقول النظرية الغربية أو الفلسفة الغربية : المبادئ الأخلاقية ، والقيم ليست ثابتة ، وقد كنت في مؤتمر في بلاد الغرب ، فقام أحد المتكلمين وقال : هذه البلاد ليس فيها شيء ثابت ، كل شيء مهما بدا لنا مقدساً ، خاضعاً للبحث ، والدرس ، والرفض ، وفرقٌ كبير بين عالَم المسلمين وبين عالم الشاردين ، المسلمون عندهم قيم ثابتة ، ليست من صنعهم، ولا من صنع البشر ، لكنها هي مِن صنع خالق البشر ، من عند خالق الأكوان ، قال تعالى:

﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾

[سورة إبراهيم : 27]

القول الثابت هذه القوانين وتلك السنن التي قنّنها الله وسنَّها لتكون منهاجاً للبشر ، وطريقاً إلى سلامتهم وسعادتهم .

المبادئ الأخلاقية والقيم ليست ثابتة ، ولكنها نسبية ، فما يبدو في مكان حراماً ، فهو في مكان آخر حلالاً ، وما يبدو في مكان رذيلةً ، هو في مكان غيرِهِ فضيلة ، وما يبدو شنيعاً، قد يبدو مقبولاً في زمانٍ ما أو مكان ما ، لذلك نحن ربما لا نستغرب وفق هذه القاعدة أن يقف وزيرٌ بريطانيٌّ ويقول : أنا شاذ جنسياً ، هذه مقبولة عندهم ، ولا نستغرب مِن مدينة ثلاثة أرباع سكانها شاذون ، وهي مِن أضخم مدن العالم الغربي ، شيء عجيب ، ليس هناك شيء ثابت في حياتهم ، لكننا معنا وحي السماء ، معنا منهج الله ، معنا كلام خالق الأكوان ، قال تعالى :

﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً ﴾

[سورة النساء : 87]

﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾

[سورة فاطر : 14]

أيها الأخوة ، في عالمنا الإسلامي وهذه من نعم الله الكبرى أن عندنا ثوابت ، وهذه الثوابت ليست من صنع بعضنا حتى يقول الطرف الآخر :

ونحن عندنا ثوابت أيضًا ، هذه الثوابت من عند خالق الأكوان ، وهذه الثوابت من الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ومِن فقرات هذه المقالة حوْلَ هذه النظرية الغربية التي لا تعتقد إلا بالواقع قال : فمن ينجح ولو على حساب الآخرين فهو على حق ، من ينجح إذا كان قوياً ولو على حساب الشعوب ، ولو على حساب كرامة الشعوب ، ولو على حساب ثقافة الشعوب ، ولو على حساب حقوق الشعوب ، فهو على حق ، أنت قوي ، إذاً أنت على حق ، أمَّا عندنا في الإسلام فالحقُّ هو الله ، والحقّ مِن عند الله ، والحق ما جاء به الوحيان ، لكن الحق يحتاج إلى قوة ، فرق كبير بين أن تعتقد أن القوة هي الحق ، وبين أن تعتقد أن الحق هو القوة ، منطلقات متباعدة ، أو متناقضة ، فمن ينجح ولو على حساب الآخرين فهو على حق ، ومن يفشل فهو على باطل، فالحق والباطل والخير والشر عندهم – كما يقولون – هو ما نعتقده نحن ، وما يستقر في أنفسنا، لا بما جاء به كتاب مقدس ، أو وحي السماء .

أيها الأخوة الكرام ، ويتابع كاتب هذه المقالة قولَه : وما سوى ذلك أوهام ميتافيزيقية، أوهام لا تقوم عندنا إطلاقاً ، وليس في التاريخ ميل صاعد يوجِّه الإنسان نحو قيم الخير والتقدم، فكل شيء يعتمد على جهد الإنسان ونجاحه هو الحق ، وإخفاقه هو الباطل ، إذاً أنجح تجارة تجارةُ المخدرات ، أنجح تجارة تجارةُ الأعراض ، والرقيق الأبيض ، فهذه أربح تجارة ، ووفق هذا المبدأ يجب أن تنجح في كسب المال ، وليس هناك قيمة تمنعك من ذلك ، وهذا الذي يقع في بلاد الغرب التجارة الأولى ؛ تجارة الأسلحة لقتل البشر ، والمخدرات ، والرقيق الأبيض ، أمّا المسلم فعنده ألف قيد وقيد يمنعه أن يؤذي نملة ، عنده ألف قيد وقيد يمنعه أن يكذب ، ويمنعه أن يخدع ، ويمنعه أن يأخذ ما ليس له ، نحن في نِعَمٍ لا يعلمها إلا الله ، ولكننا ألِفناها ، فلم ننتبه إليها ، عندنا بقية أمانة ، وبقية صدق ، وبقية إخلاص ، وبقية تضحية .

لذلك أيها الأخوة ، العقل من دون سياج خُلُقي يدمر صاحبه ، العقل يبحث عن مال ، فإذا كان هناك تجارة رابحة جداً يمارسها الإنسان ولو دمرت مجتمعاً بأكمله ، وهذا الذي حصل في العالم من أجل تجارة الجنس دُمِّرَت بيوت ، والعالَم الغربي ما حارب العالم الثالث إلا بالمرأة ، و بهذه الصحون .

انضباط المؤمن بمئات القيم :

أيها الأخوة ، ما لم نحصِّن أنفسنا ، وما لم نحصِّن أولادنا ، وما لم نحصّن أهلنا ، فنحن في خطر كبير ، خطر بعيد عن الخطر العسكري ، إنه خطر ثقافي ، يؤدِّي إلى انهيار الإنسان مِن داخله ، قال تعالى :

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾

[سورة المائدة: 2]

إنّ المؤمن منضبط بمئات القيم التي تضبطه مِن أن يكذب ، من أن يخون، من أن يبني مجده على أنقاض الآخرين ، من أن يبني حياته على موتهم، من أن يبني أمنه على إخافتهم، من أن يبني غناه على فقرهم ، لذلك فالنجاح عندهم هو مقياس الحق والباطل ، النجاح مقياس الصحيح والخطأ عندهم ، لا يوجد مقياس موضوعي فوق الجميع مستمدٌّ من قيم أخلاقية موضوعية ، بل المقياس المعتمد مستمد من الغريزة ، من شهوة الجنس ، وشهوة المال ، ومن المصلحة الذاتية ، ومن الرغبات الشخصية ، لكننا في عالم المسلمين: (إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ).

نعم الله لا تعد و لا تحصى :



أيها الأخوة مرةً ثانية قد تنعم بنعم لا تعد ولا تحصى ، أنا ذكرت في لقاءات العيد أن أحد علماء دمشق من عادته أن يأخذ إخوانه في اليوم الأول إلى المقابر ليعرفوا قيمة الحياة ، فأنت حي ترزق ، وقلبك ينبض ، وبإمكانك أن تتوب ، وبإمكانك أن تستغفر ، وبإمكانك أن تطلب العلم ، وبإمكانك أن تعمل عملاً صالحاً وفي اليوم التالي يأخذهم إلى

المستشفيات ليعلموا قيمة الصحة ، تنام ملء عينك ، تتحرك ، ترى بعينك ، تسمع بأذنك ، تنطق بلسانك ، تفرغ مثانتك ، ليس هناك نمو غير طبيعي في الخلايا ، ليس هناك ضيق في الشرايين ، فنعمة الصحة ينعم بها معظم الناس ، ولا ينتبهون لها ، بكم تشتري هذا الكأس يا أمير المؤمنين ؟ كأس ماء قال : بنصف ملكي، قال : فإذا منع إخراجه ، قال : بنصف ملكي الآخر .

وفي اليوم الثالث يأخذهم إلى السجون للتعرف على قيمة الحرية ، لست ملاحقاً ، وليس هناك مذكرة بحث عنك ، بل تنام مطمئناً في بيتك ، ماذا فعلت بنعمة الأمن ؟ ماذا فعلت بنعمة الحياة هل تبت إلى الله ؟ ماذا فعلت بنعمة الصحة ؟ هل كانت لك قوةً على طاعة الله؟ ماذا فعلت بنعمة الأمن ؟ هل انطلقت فيها إلى عمل صالح ؟

وفي اليوم الرابع كان يأخذهم إلى مستشفى الأمراض العقلية ، ليعرفوا قيمة العقل ، معظم الناس يتمتعون بنعمة الحياة ، ونعمة الصحة ، ونعمة الحرية ، ونعمة العقل ، وهناك نعمة تفوق كل هذه النعم ، وهي أنْ تعتقد أن لهذا الكون إلهاً واحداً ، هل تصدق أنه في بعض بلاد شرقي آسيا هناك مَن يعتقد أن هذا الجرذ إله، وأنا رأيت بأم عيني معابدهم، ومئات الجرذان على أكتافهم ، وعلى رؤوسهم ، لأنها آلهتهم ، هل تصدق أنه في شرق آسيا البعيدة يعبدون ذَكَرَ الرجل من دون الله !! هناك من يعبد البقر ، وهناك من يعبد الحجر ، وهناك من يعبد أمواج البحر ، وهناك من يعبد النار ، أليست هذه نعمة لا تعدلها نعمة أن نعبد الواحد القهار؟ أن نعبد خالق السموات والأرض ؟

عظمة الدين و مبادئه تحكم المسلمين :

أيها الأخوة الكرام ، عندهم في هذه النظرية أن القوة يجب أن تكون على حساب الحق، وأن الوسيلة مهما تكن قذرة تبررها الغاية ، وأن المبدأ يُضَحَّى به من أجل المنفعة ، سيدنا عمر حينما جاءه جبلة بن الأيهم ، وكان ملِكًا ممَّن أسلم ، طاف حول الكعبة لأداء العمرة ، فداس طرفَ ردائه أحدُ البدو ، فضربه جبلةُ ضربةً هشمت أنفه ، فشكاه الأعرابيُّ لعمر ، استدعاه ، وقال له : أصحيح ما ادعى هذا الفزاري الجريح ؟ قال : لستُ ممن ينكر شيا ، أنا أدّبتُ الفتى ، أدركت حقي بيديّ ، قال له : أرضِ الفتى ، لابد من إرضائه ، مازال ظفرك عالِقاً بدمائه ، أو يهشمنّ الآن أنفك ، وتنال ما فعلته كفُّك ، قال : كيف ذاك يا أمير هو سوقة

وأنا عرش وتاج ؟ كيف ترضى أن يخر النجم أرضاً ؟ قال : نزوات الجاهلية ، ورياح العنجهية ، قد دفناها ، وأقمنا فوقها صرحاً جديداً ، وتساوى الناس أحراراً لدينا وعبيداً ، قال : كان وَهْماً ما جرى في خلدي ؛ أنني عندك أقوى ، وأعز ، أنا مرتد إذا أكرهتني ، قال : عنق المرتد بالسيف تُحَزُّ ، عالم نبنيه ، كلُّ صدع فيه بشبا السيف يُدَاوَى ، وأعزُّ الناس بالعبد بالصعلوك تساوى .

ماذا فعل عمر ؟ ضحّى بملِك ، ولم يضحِ بمبدأ ، هذه عظمة الدين ، مبادئ تحكمنا ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :

((أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالُوا : وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا : وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا))

[متفق عليه عن عائشة]

عبد الله بن رواحة ، صحابي جليل ، أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى يهود خيبر ليقيم تمرهم وفق اتفاقية سابقة ، فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ قَالَ :

((أَفَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْبَرَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَقَرَّهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا كَانُوا وَجَعَلَهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فَبَعَثَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ فَخَرَصَهَا عَلَيْهِمْ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ أَنْتُمْ أَبْغَضُ الْخَلْقِ إِلَيَّ قَتَلْتُمْ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَكَذَبْتُمْ عَلَى اللَّهِ وَلَيْسَ يَحْمِلُنِي بُغْضِي إِيَّاكُمْ عَلَى أَنْ أَحِيفَ عَلَيْكُمْ قَدْ خَرَصْتُ عِشْرِينَ أَلْفَ وَسْقٍ مِنْ تَمْرٍ فَإِنْ شِئْتُمْ فَلَكُمْ وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَلِي فَقَالُوا بِهَذَا قَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ قَدْ أَخَذْنَا فَاخْرُجُوا عَنَّا))

[أحمد عن جابر بن عبد الله]

مقارنة بين الإنسان بحسب النظرية الغربية والإنسان في ضوء القرآن :

أيها الأخوة الكرام ، الغاية تبرر الوسيلة ، نضحِّي بالمبدأ من أجل المنفعة ، هكذا يعتقدون ، وهكذا يفكرون ، ومِن هنا ينطلقون ، لذلك فالإنسان أيها الأخوة بحسب النظرية الغربية كائن خاضع للغريزة التي تمثل الجانب المادي والحيواني ، أما الإنسان في ضوء القرآن فهو كائنٌ أَوَّل ، خاضع لقيمٍ مِن عند الله عز وجل ، وهذا يمثل فيه الجانب الروحي، والجانب المثالي ، الإنسان عندهم كائن يبحث عن المصلحة الخاصة ، ولو على حساب الآخرين ، أما الإنسان في الإسلام فيوازن بين المصلحة الخاصة والعامة ، وهناك ضوابط كثيرة تضبط المصلحة الخاصة ، والمصلحة العامة ، فلا يتعارضان ، ولا يتداخلان ، الإنسان عندهم أناني ، ينفي الآخر ، ولا يرى الآخر ، ويحتقره ، ما دام قوياً لا يرى الآخر إطلاقاً ، ما دام قوياً يستغله ويبيده إذا لزم الأمر ، أما الإنسان في الإسلام فهو كائن غيري ، يحترم الآخرين ، ويكرمهم ، ويعاملهم أطيب معاملة ، القيم عندهم نسبية ، أمّا القيم في الإسلام فثابتة ، لأنها نابعة من وحي السماء ، الواقعية عندهم انتهازية، يُغتال الحق فيها ، أما الواقعية في الإسلام فهي التيسير ، ورفْع الحرج ، والبعد عن الإفراط والتفريط ، غايتهم فردوس الأرض ، أمّا هدف المؤمن الرئيسي فهو فردوس الجنة ، فإذا ضمَّ إليها فردوس الأرض فلا مانع ، والأصل أنك تعمل للآخرة ، تعمل لجنة عرضها السموات والأرض .

أخبار من التلمود :

أيها الأخوة الكرام ، أما هؤلاء ؛ الطرف الآخر الذين يقتلون كل يوم العديدَ مِن المسلمين ، ويهدمون البيوت كل يوم فانظروا ما في كتبهم المقدسة ؛ قالوا : من ضرب إسرائيلياً على فكه فكأنما اعتدى على الحضرة

الإلهية – هذا في كتبهم – الأغيار غير اليهود ، الأغيار في ديانتهم مِن أصناف البهائم والحيوانات ، لكن الله تعالى قال في القرآن الكريم وهو أصدَقُ القائلين :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

[سورة الحجرات: 13]

في تلمودهم الأغيار غير اليهود ، الأغيار بهائم وحيوانات ، يقول فقهاء التلمود : لا يجوز للطبيب الحكيم اليهودي الماهر أن يعالج أحداً من بقية الأمم ، ولو بالأجرة ، أما إذا كان الطبيب اليهودي غير الماهر بصنعته يجب أن يتعلم بمعالجة بقية الأمم ، يقول عليه الصلاة والسلام:

عقيدة اليهود الباطلة حللت لهم العدوان على غيرهم من الشعوب

((مَنْ تَطَبَّبَ وَلَمْ يُعْلَمْ مِنْهُ طِبٌّ قَبْلَ ذَلِكَ فَهُوَ ضَامِنٌ))

[النسائي عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ]

أما عندهم فينبغي أن يتعلم هذا الطبيب بغيرهِ مِن الأمم ، لا يجوز للأغيار أن يلمسوا طعام اليهودي ، فإذا لمسوه فعليه أن يلقيه في سلة المهملات فوراً ، قال تعالى :

﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ ﴾

[سورة المائدة : 5]

أيها الأخوة الكرام ، يجوز لليهودي أن يتعامل بالربا مع غير اليهودي ، وله أن يمتص غيره من الأمم والشعوب ، له أن يسرقه ، له أن يشهد بالزور عليه ، له أن يقتله ، له أن يكذب عليه ، له أن يغدر به ، له أن يغتصبه ، أن ينتقم منه ، أن يشتهي امرأته ، هذا كله في التلمود ، فيه مجموعة سخافات ، هذا هو التلمود ، و هكذا يعتقدون ، ألم أقل لكم قبل قليل : ما من نعمة أعظم من أن تكون عقيدتك سليمة .

أيها الأخوة الكرام ، نريد أن نؤكد لكم هذا الواقع مِن خلال تطبيقٍ نقوم به في الخطبة الثانية إن شاء الله .

القوة لا تصنع الحق ولكن الحق يصنع القوة :

أيها الأخوة الكرام ، ذكرت لكم وهذا ليس من عادتي في خطب الجمعة بعض عقائد الطرف الآخر كي تشكروا الله عز وجل على نعمة العقيدة الصحيحة ، وقد وازنتُ لكم بين ما في القرآن وسنةِ النبي العدنان وبين ما عند الطرف الآخر من عقائد لا يمكن أن يُستَمَع إليها ، ولا يمكن أن يُعتقَدَ بها ، ولا يمكن أن تُقبَل ، فلذلك ما يجري في العالم من سفك دم ، ومن اغتصاب أرض ، ومن هدم بيوت ، ومن قتل أطفال ، فهذه الأعمال كلها مبررة لديهم ، مبررة بحسب كتبهم الدينية ، لذلك أيها الأخوة الواقع غير ذلك ، والقوة البشرية مهما عظمت فهي محدودة ، والعلم مهما اتسع فهو قاصر ، وأن الإنسان المتأله مصيره القصم ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَل :

((الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ))

[مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

إنّ اعتماد القوة وحدها لا يحقق الهدف ما لم يكن مصحوباً بدرجة عالية من الاستماع الجيد إلى الطرف الآخر ، والتفهُّم الدقيق للرأي الآخر ، ومراعاة لمصالحه ، وخصوصياته ، وتوفير كرامته ، وما لم تحلَّ مشكلات المظلومين في العالم ، فإن المشكلة تبقى قائمة ، بل وربما تفاقمت ، فالقوة لا تصنع الحق ، ولكن الحق يصنع القوة ، والقوة من دون حكمة تدمر صاحبها .

نتائج الظلم لا يمكن ضبط حساباتها ولا تقدير ردود أفعالها :

أيها الأخوة الكرام ، دققوا فيما سأقول : هذه العين مهما تكن حادة النظر لا قيمة لها من دون ضوء يتوسط بينها وبين ما تنظر إليه ، وهذا العقل البشري مهما يكن ألمعياً من دون وحي السماء ، ومن دون هدى رب الأرض والسماء سيخطئ ، وسيدمر ذاته ، وأغبى الأغبياء في الأرض هؤلاء الذين لا يعلمون أن الله موجود، وفعال ، وبيده بأية لحظة قلب موازين القوى كلها ، فهؤلاء الذين يتحركون من دون إيمان بالله ومن دون إيمان باليوم الآخر هم أغبى خلق الله قاطبةً .

أيها الأخوة ، شيء آخر :

هؤلاء الذين يتصدَّون لما يسمونه إرهاباً ، لو سألوا أنفسهم : لماذا يُقْدِم هؤلاء الشبان على الموت ؟ سيجدون هؤلاء أنفسهم بحاجة إلى وقفة شجاعة تخلِّصهم من مسلسل الذعر المنتظر ، ومسلسل عداوات المقهورين .

يا أيها الأخوة ، إن نتائج الظلم لا يمكن ضبط حساباتها ، ولا تقدير ردود أفعالها ، ذلك أن ردود أفعال المقهورين والمظلموين كشظايا القنابل ، تطيش في كل اتجاه، وتصيب من غير تصويب ، إن ردود أفعال المظلومين والمتوترين لا يمكن التحكُّم في مداها ، ولا في اتجاهها ، إنها تطيش متجاوزة حدود المشروع والمعقول .

أيها الأخوة ، إن أحرص الناس على الحياة سيظلون في حيرة عندما يتعاملون مع مَن يلغي حياته مِن حساب الأرباح ، ويسجل نفسه كأول رقم في قائمة الضحايا ، إن أعظم ما يملكه القوي أن ينهي حياة الضعيف ، فإذا أراد الضعيف أن يقدم أثمن ما يملك ، وهي حياته لِزَلْزَلَةِ كيان القوي صار هذا الضعيف أقوى منه ، وقد قيل : بدأت الحرب بالإنسان، ثم أصبحت بين آلتين ، ثم بين عقلين ، ثم انتهت بالإنسان.

أيها الأخوة الأحباب ، إن الحديث عن القوة النابعة من الضعف ليست دعوة للرضا بالضعف ، أو السكوت عنه ، بل هو دعوة لاستشعار القوة ، حتى في حالة الضعف ، فيجب أن نبحث في كل مظنة ضعف عن سبب قوة كامنة فيه ، ولو أخلص المسلمون في طلب ذلك لوجدوه ، ولصار الضعف قوةً ، لأن الضعف ينطوي على قوة مستورة ، يؤيدها الله في حفظه ورعايته ، فإذا قوة الضعيف تهدُّ الجبال ، وتدكُّ الحصون ، قال تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

[سورة الفتح : 4]

أيها الأخوة الكرام ، لا نملك إلا أن ندعو لإخوتنا في الأراضي المحتلة ، أن ينصرهم الله على عدوهم الشرس، على هذا الثور الهائج المصاب بجنون البقر ، بل جنون البشر ، نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينصرهم ، وأن يحميهم ، وأن يعوضهم الجنة ، لمن فقد حياته، واستشهد منهم .

الفصل الأول : أخطاء العقيدة

1.1 حظوظ الدنيا

1.2 مفردات خاطئة في العقيدة

1.3 أخطاء تستوجب التوبة

1.4 خطأ في مفهوم الشفاعة

1.5 الشفاعة تكون بعد التوبة والعمل الصالح

1.1 حظوظ الدنيا

بسم اللـه الرحمن الرحيم

طريق الإنسان إلى الخير هو من فضل عمله



أيها الإخوة المؤمنون ، يعتقد بعض الناس أو معظمهم اعتقاداً خاطئاً لأنهم لم يمحصوها ولم يقلبوها على وجوهها ، ولم يعرضوها على القرآن الكريم بل توارثوها وتناقلوها عن غير فهم ولا تبصر ، فمن هذه العقائد الفاسدة ، أن الدنيا حظوظ ، ويوم لك ويوم عليك ، والدهر غدار ، القدر لا يرحم فإذا كانت الدنيا حظوظا ، فمن قسم هذه الحظوظ ، ووفق أي مقياس قسمها ، وإذا كان الدهر غداراً فمن هو الدهر ، وإذا كان القدر ساخراً فمن هو القدر ما هذا أهو قرآن كريم أم أحاديث شريفة، أم كلام ما أنزل الله به من سلطان ، يقول الله تعالى في حديث قدسي :

" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهم عَنْهم قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي الأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ))

[أخرجه البخاري ومسلم]

وقد يقولون :

ملك الملوك إذا وهب لا تسألن عن السبب

الله يعطي من يشـاء فقف على حد الأدب

لا يا أخي ...

ملك الملوك إذا وهب قم فسألن عن السبب

الله يعطي من يشـاء فقف على حـــد الأدب

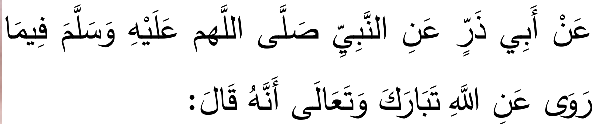
والحقيقة . يا أخوتي . أن الله تعالى ، لا يضيع مثقال ذرة ،

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾

[الآية:7 سورة الزلزلة]



وقد جاء في الحديث القدسي :



عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ:

((يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلا تَظَالَمُوا يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إِلا نَفْسَهُ))

[أخرجه مسلم]

وأما اختلاف الناس في حظوظهم من الدنيا فمرده في معظم الحالات إلى التيسير والتوفيق ، أو التعسير وعدم التوفيق ، والتيسير والتعسير لهما أسباب في القرآن الكريم ، قال تعالى :

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى * فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى * وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى * إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى * وَإِنَّ لَنَا لَلْآَخِرَةَ وَالْأُولَى﴾

[الآيات:1-13 سورة الليل]

فالتيسير والتوفيق ليس صدفة ، بل هو شيء يخلقه الله خلقاً مكافأة لمن يستقيم على أمره ، وينفق مما رزقه الله قربة إليه ، وأما التعسير وعدم التوفيق فليس حظاً سيئاً ، ولكنه شيء يخلقه الله خلقاً ردعاً أو عقاباً لمن كذب بالحق ، وبخل واستغنى ، قال تعالى :

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾

[الآيات:5-10 سورة الليل]

فمن منا لا يرجو التوفيق في حياته ، في كسبه ، وفي زواجه ، وفي أولاده ، وفي دراسته، ومن منا لا يرجو التيسير في قضاء حاجاته وحل مشكلاته ، إذا صدق بالحسنى ، أي آمن بالله، واستقم على أمره ، ثم أعط ولا تبخل ، وأعن ولا تعجز ، وعاون ولا تعتذر ، تجد أمرك ميسراً وحاجتك مقضية ، قال تعالى :

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾

[الآية:97 النحل سورة]

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً﴾

[الآية:147 سورة النساء]

والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه . أما إذا ضاقت بالعبد السبل ، وسدت في وجهه الأبواب ، وأصبح يسير الأمر معسرا ، وواسعه ضيقاً ، فلا يتهم الأقدار ، ولا يسب الدهر ولكن ليذكر قوله تعالى :

﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾

[الآيات:8-9 سورة الليل]

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾

[الآية:124 سورة طه]

ويذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((ما من عثرة ولا اختلاج عرق ، ولا خدش عود ، إلا بما قدمت أيديكم وما يعفو الله أكثر))

وإذا أردت أن تخرج من هذه الحالة الصعبة ، ومن ذاك الضيق الشديد ، والحرج الضيق ، فتب توبة نصوحاً، واعمل صالحاً ، وانظر كيف يخلق الله من العسر يسراً ، ومن الضعف قوةً ، ومن الضيق انفراجاً ، قال تعالى :

﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾

[الآية:15 سورة الحج]

فليمدد بسبب ؛ أي ليعمل عملاً صالحاً خالصاً ..

ثم ليقطع كل منكر ، ثم لينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ .

لذلك قال عليه الصلاة والسلام :

((لا يخافن العبد إلا ذنبه ، ولا يرجون إلا ربه))

ولكل شيء حقيقة ، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطئه لم يكن ليصيبه .

ولا تقل لو أني فعلت كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن كلمة لو تفتح عمل الشيطان .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلا تَعْجَزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ))

[أخرجه مسلم]

المصيبة إنما أن تكون تكفير أو ابتلاء أو عقوبة



بقيت نقطتان يجادل فيهما بعض الجهلاء ، وأهل الفسق ، والفجور وهما المؤمن المبتلى والفاجر المعافى وأغلب الظن أن الناس حينما اعتقدوا أن الدنيا حظوظ مقسومة ، ربما انطلقوا من هاتين الحالتين .

فبحق المؤمن المبتلى نقول : ليست كل مصيبة بعقوبة ، فبعض المصائب تكون وقاية للمؤمن من الانزلاق ، جاء في الحديث الشريف :

((إن الله ليحمي صفيه من الدنيا كما يحمي أحدكم مريضه من الطعام))

وبعض المصائب تكون تكفيراً لذنب ، عَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((مَا مِنْ مُسلم يُشاكُ شوكة فما فوقها إلا كُتبتْ له بها درجة ، ومُحِيَتْ عنه بها خطيئة))

[أخرجه مسلم والبخاري]

وبعض المصائب تكون ابتلاءً ، وامتحاناً ، لينال بها العبد أرقى الدرجات ، عَنْ فَاطِمَةَ بنت اليمان قَالَتْ :

((أَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعُودُهُ فِي نِسَاءٍ فَإِذَا سِقَاءٌ مُعَلَّقٌ نَحْوَهُ يَقْطُرُ مَاؤُهُ عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ مَا يَجِدُ مِنْ حَرِّ الْحُمَّى قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ دَعَوْتَ اللهَ فَشَفَاكَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءَ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ))

[أخرجه أحمد والطبراني]

قال تعالى :

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾

[الآيات:155-157 سورة البقرة]

وكان سيدنا علي يقول : الرضاء بمكروه القضاء أرفع درجات اليقين .



وقد قال عليه الصلاة والسلام :

" عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((عَجِبْتُ لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَ الْمُؤْمِنِ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ لَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ وَكَانَ خَيْرًا وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ وَكَانَ خَيْرًا))

[أخرجه أحمد]

وكان سيدنا عمر يقول :

ما ابتليت ببلاء إلا كان لله تعالى علي فيه أربع نعم ؛ إذ لم يكن في ديني ، وإذ لم يكن أعظم ، وإذ لم أحرم الرضا به ، وإذ أرجو الثواب عليه .

وأما الفاجر المعافى فاستمع إلى ما قاله الله في حقه :

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾

[الآية:44 سورة الأنعام]

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾

[الآيات:196-197 سورة آل عمران]

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾

[الآية:55 سورة التوبة]

كل ذلك بسبب إصرارهم على الدنيا ، واستغنائهم عن رحمة ربهم وما عنده ، قال تعالى :

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً * وَمَنْ أَرَادَ الْآَخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً * كُلّاً نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً * انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً * لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً﴾

[سورة الإسراء]

أو كما قال .

أيها الأخوة الكرام ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وصلوا ما بينكم وبين ربكم تسعدوا ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا ، فلنتخذ حذرنا ، الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني .

1.2 مفردات خاطئة في العقيدة

بسم اللـه الرحمن الرحيم

بعض من العقائد الفاسدة .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ حدثتكم في الخطبة السابقة عن بعض العقائد الفاسدة التي يعتقدها الناس أو معظمهم، حدثتكم عن تصحيحها في ضوء القرآن الكريم والحديث الشريف .

ومن العقائد الفاسدة التي يتناقلها الناس دون أن يمحصوها ، ودون أن يقلبوها على وجوهها ، ودون أن يعرضوها على القرآن الكريم ، دون أن يتعرفوا إلى مصدرها ، ودون أن ينظروا في نتائجها الخطرة .

يظن الناس هداية البعض وضلال البعض نصيب وقدر من الله

من هذه العقائد قولهم : (فلان الله هادي ، فلان الله ضالو ، فلان الله ساعدوا ، فلان الله شاقي ، لا تعترض تطرد ، كله شغل سيدك ، أقام العباد فيما أراد ، وله المراد فيما يريد ، قبضة للجنة ولا أبالي، وقبضة للنار ولا أبالي ، فلان عبد ربه 90 سنة و دخل جهنم ، وفلان عصى ربه طول حياتو وقبل ما يموت قال لا إله إلا الله دخل الجنة ، طاسات معدودة بأماكن محدودة ، كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة ، فلان مسكين ما يستاهل ، فلان عنده دفين دف عمل به باب قصر ودف عمل به باب مرحاض ، ألك عنده شي ، حر بملكه ، الله خلق الكافر لينعرف المؤمن ، والله خلقكم وما تعملون .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ بعض هذا الكلام من كلام الله عز وجل ، أسيء فهمه ، وتفسيره جهلاً ، أو خبثاً ، قال تعالى :

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾

[الآية:39 سورة يونس]

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

[سورة آل عمران الآية:7]

﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً﴾

[الآية:59 سورة الفرقان]

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[الآية:7 سورة الأنبياء]

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِي اللَّه عَنْهمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ))

[أخرجه الترمذي]

وبعض هذا الكلام أحاديث لم تصحَّ عن رسول الله صلوات الله عليه أو صحَّت ولكن أسيء فهمها وتفسيرها؛ بسبب الجهل أو اتباعاً للهوى وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ليبين للناس ما نُزِّل إليهم وليس ليعارض القرآن أو يناقضه ، أو يضيف عليه .

وبعض هذا الكلام تخرصاتٌ وهذيان ما أنزل الله به من سلطان ولا قيمة له في الميزان ، ميزان النقل والعقل.

أيها الإخوة المؤمنون ؛ ماذا تفعل هذه العقائد الفاسدة في النفس ، إنها تشلُّ علمها ، وتثبط عزيمتها ، وتبرد همتها ، وتقعدها عن كل مكرمة ، وفضيلة ، وتجعلها تتعلق بالآمال التي لا تتحقق والأوهام التي لا تدرك ، وتجعلها تتبع هواها ، وتتمنى على الله الأماني ، عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ثُمَّ تَمَنَّى عَلَى اللَّهِ))

[أخرجه الترمذي]

إن هذه العقائد الفاسدة ، تفعل في النفس فعل قولك لطلاب ؛ إن النجاح ليس بالاجتهاد ، ولا بتأدية الامتحان، ولكن الأسماء الأولى هم الناجحون والثانية هم الراسبون ، أفتجد بعد هذا من عنده همة وعزيمة وجلد على الدراسة ؟ .. بل تجدهم يضيعون وقتهم في اللهو واللعب ويحلمون ، أن تكون أسماؤهم في القبضة الأولى .

من أين نستقي الحقائق ؟

أيها الأخوة المؤمنون ؛ من أين نستقي الحقائق إذاً، أليس من القرآن الكريم كلام رب العالمين ودستور المسلمين ، عَنْ مَالِك أَنَّهم بَلَغَهم أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ))

[أخرجه مالك]

فماذا يقول القرآن الكريم ، يقول :

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آَبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾

[الآية:148 سورة الأنعام]

وقال أيضاً :

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آَبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

[الآية:28 سورة الأعراف]

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

[الآية:90 سورة النحل]

وقال أيضاً :

﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آَخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

[سورة هود الآيات:54-56]

هذه الآيات تؤكد أن الله لم يخلق الكافر كافراً ، ولم يجبره على اقتراف المعاصي ، فالله لا يأمر بالفحشاء ، وهو على صراط مستقيم ، وقال أيضاً:

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

[الآية:148 سورة البقرة]

وقال أيضاً :

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً﴾

[سورة الكهف الآية:29]

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾

[سورة الإنسان الآية:3]

وهذه الآيات تؤكد أن الإنسان حرٌّ في اختياره ، وأنه لا مسؤولية من دون اختيار .

وأما الآيات التي تؤكد أنه من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، فهي أكثر من أن تحصى ، وهي كلها تؤكد أن الجنة بالعمل ، وليست بالأمل ، قال تعالى :



﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾

[الآية:30 سورة آل عمران]

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

[الآية:62 سورة البقرة]

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً﴾

[سورة الكهف الآيات:107-108]

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾

[الآية:21 سورة الجاثية]

﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

[الآية:22 سورة الجاثية]

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[سورة الأعراف الآية:43]

﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[الآية:14 سورة السجدة]

﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[الآية:54 سورة يس]

أيها الإخوة ؛ في القرآن الكريم ثلاثمائة وثلاث وستون آية تؤكد أن العمل هو كل شيء في حياة الإنسان، وفي آخرته ، فما لهؤلاء الناس يتعلقون بالأمل ولا يفقهون هذه الآيات ، ولا يتدبرونها ، ولا يطبقونها .

وللإمام علي كرَّم الله وجهه كلمة مضيئة في حقيقة القضاء والقدر الذي طالما تذرع به أهل الزيغ والفتن، سئل رضي الله عنه وهو في طريقه إلى الشام : أكان مسيرنا إلى الشام بقضاء من الله وقدر ؟

فأجابه : ويحك لعلك ظننت قضاءً لازماً وقدراً حاتماً ، ولو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب ، وسقط الوعد والعيد ، إن الله سبحانه ، أمر عباده تخييراً ، ونهاهم تحذيراً ، وكلف يسيراً ، ولم يكلف عسيراً ، وأعطى على القليل كثيراً ، ولم يعص مغلوباً ، ولم يطع مكرهاً ، ولم يرسل الأنبياء لعباً ، ولم ينزل الكتاب للعباد عبثاً ، ولا خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً ، وذلك ظن الذين كفروا ، فويل للذين كفروا من النار ".

رضي الله عنك يا سيدنا علي بن أبي طالب ، وقد صدق رسول الله حيثما قال :

((أنا مدينة العلم وعلي بابها))

[أخرجه الترمذي]

قال تعالى :

يا قوم قد أبلغتكم رسالات ربكم ونضحت لكم فهل تسمعون من الناصحين ،

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾

[الجاثية الآية:15 سورة]

أيها الأخوة الكرام ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وصلوا ما بينكم وبين ربكم تسعدوا ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا ، فلنتخذ حذرنا ، الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني .

1.3 أخطاء تستوجب التوبة

بسم اللـه الرحمن الرحيم

تمهيد

أيها الإخوة المؤمنون ؛ تحدثت في خطبتين سابقتين عن بعض العقائد الفاسدة التي ما أنزل الله بها من سلطان ، والتي تناقلها الخلف عن السلف ، دون أن يفطنوا إلى أنها بعيدة كل البعد عن جوهر الإسلام ، وروح القرآن ونصه ، وقد بينت لكم أن فيها شيئاً من كلام الله ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيء فهمه ، وتفسيره ، عن قصد أو غير قصد ، وقد وضحّت آثار هذه العقائد الفاسدة في تثبيط الهمم ، وإضعاف العزائم ، وترك العمل والتعلق بالأمل ، ومن هذه العقائد التعلق بمغفرة الله دون علم ولا هدى ، ولا كتاب منير .

أيها الإخوة ؛ مغفرة الله خافيةٌ على كثير من الناس ، والطريق إليها محجوبةٌ عن عيونهم ، وقبل الحديث عن حقيقتها ، والطريق إليها أودُّ أن أقف قليلاً عند بعض الصور المنتزعة من حياة المسلمين . يرى بعض المسلمين أو من يزعم أنه منهم يقترف من المعاصي ما صغر وكبر ، فإذا قلت له ما هذا يا صاحبي ، لا تجد عنده من جواب سوى قوله الله غفور رحيم ، الله يعفو عنا بعفوه ، نحنا عبيد إحسان مالنا عبيد امتحان ، بعضهم الآخر إذا واجهته بمعصية قال لك (بكره بحج والله يغفر لي ذنوبي) ومنهم من يقول : لا تشددها أنت أكرم من الله ...

إلى ما هنالك من كلام حقٍ أريد به باطلاً .

أيها الإخوة ؛ هذه العقائد يجب أن تُصحح يجب أن تعرض على القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

أيها الإخوة ؛ الإنسان بين حالتين ، حالة الصحو وحالة الغفلة ، حالة الاستنارة وحالة الظلمة ، حالة الرؤية القلبية وحالة العمى ، والحالات الأُول تكون بالاتصال بالله ، والإقبال عليه ، والتوجه نحوه ، والحالات الأُخر تكون بالقطيعة ، وترك الصلاة ، والإعراض عن الله ، و الإدبار عن الحق .

الإنسان بين الاستنارة والظلمة وبين الإقبال والإدبار

والإنسان حينما يتصل بربه ، يستنير بنوره ، فيرى الخير خيراً ، والشر شراً ، يرى الحق حقاً ، والباطل باطلاً ، إنه يرى المعاصي ويرى ما فيها من ضرر وأذى، فأنى له أن يقع فيها ويرى الطاعات ويرى ما فيها من خير عميم ، وسعادة دائمة ، فأنى له أن يتركها.

فلو وضعت يدك ، وأنت مغمض العينين على شيء ناعم الملمس ، لين المجس ، انسيابي الخطوط ، ثم فتحت عينيك ، فإذا هو حية رقطاء ، في أنيابها السم الناقع ، عندها تنتفض مبتعداً عنها ، وتصرخ مذعوراً منها لقد ركنت إلى ملمسها الناعم ، ومجسها اللين، حينما جهلتها ، وابتعدت عنها ، حينما رأيت سمها.


الملمس الناعم قد يحمل الموت

سيدنا يوسف عليه السلام رأى في دعوة امرأة العزيز ومراودتها عن نفسه رؤية لا يراها سائر الناس ، المنقطعين عن الله ، حينما تسنح له مثل هذه الفرص ، لقد رأى أن السجن أحب إليه من تلبية هذه الدعوة فقال :

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾

[الآية:33 سورة يوسف]

بينما يرى بعض الجهلاء من الناس أن السجن أحب إليهم من رفضها .

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾

[الآية:24 سورة يوسف]

أي لولا أنه رأى برهان ربه لهم بها .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾

[سورة الأنفال الآية:29]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

[الآية:28 سورة الحديد]

﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[الآية:122 سورة الأنعام]

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى * وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾

[الآيات:124-127 سورة طه]

أي كنت أعمى في الدنيا ...

مستلزمات التوبة

في ضوء هذه الحقائق والآيات يتضح أن الذنب ليس كما يتصوره بعض الناس ، نقطة سوداء في صفحة الإنسان منفصلة عنه يمكن أن تمحى بجرة ممحاة ، ولكنه مرض نفسي ، وشهوة منحرفة ، بسبب عمىً في البصيرة ، أو بسبب رؤية منحرفة ، نتيجة القطيعة والفعلة والإعراض عن الله ، وترك الصلاة ، بمعناها الحقيقي .

ومغفرة الذنب ليست مسحاً لهذه النقطة السوداء ولا شطبها ، ولا تمزيق الصحيفة كلها ، ولكنها حمية قاسية ، أو علاج طويل ، أو عملية جراحية تستهدف شفاء النفس ، وبرأها مما ألم بها ، فالذنب مرض ، والمغفرة شفاء منه ، وهل سمعتم أيها الإخوة أن هناك شفاءً من دون دواء ، وبرءاً من غير سبب ؟..

لقد أشار القرآن الكريم ، إلى طريق المغفرة ، وإلى أسباب الشفاء فقال:

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾

[سورة طه الآية:82]

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

[الآية:119 سورة النحل]

﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

[الآية:11 سورة النمل]

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

[الآية:89 سورة آل عمران]

﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

[الآية:153 سورة الأعراف]

﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

[الآية:39 سورة المائدة]

أيها الإخوة ، هذه آيات من القرآن الكريم توضح طريق المغفرة والشفاء .

إنها التوبة النصوح أولاً .

والإصلاح ثانياً ، إصلاح الخطأ ، إذا كان الأمر متعلقاً بالعباد .

والإيمان الصحيح ثالثاً .

والعمل الصالح رابعاً .

وبعدها تأتي المغفرة التي هي شفاء للنفس من كل أمراضها وعللها .

أما إذا عاد العبد ، واقترف الذنب الذي تاب منه ، فتفسر ذلك أن إرادته قويت تارة فتركه ، وضعفت أخرى فاقترفه ، لكنه في كلتا الحالتين :

أولاً : لم يحصل له الشفاء الصحيح الذي يجعله يترفع عن الذنب اشمئزازاً لا مجاهدة .

ثانياً : لم تحصل له المغفرة التي وعد الله بها المؤمنين .

اللهم وفقنا إلى التوبة النصوح ، والإصلاح من بعد الجموح وارزقنا إيماناً يرينا الخير خيراً، والشر شراً ، وارزقنا عملاً صالحاً يصلح ما فسد من عملنا ، ويصلح للعرض عليك حين أوبتنا إليك ، وبعدها كما قلت في كتابك ، ارزقنا مغفرة وشفاء لا انتكاس فيها .

أيها الأخوة الكرام ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وصلوا ما بينكم وبين ربكم تسعدوا ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا ، فلنتخذ حذرنا ، الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني .

1.4 خطأ في مفهوم الشفاعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الشرك لا يغفر

أيها الإخوة المؤمنون ؛ يقول الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز :

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً﴾

[سورة النساء الآية:48]

يفهم من هذه الآية يا إخوتي أن الخطأ في السلوك شيء والغلط في العقيدة شيء آخر ، إن شعور الإنسان بخطئه وإيمانه بربه وبرحمته لا يزالان يلحان عليه حتى يحملاه على السلوك القويم ، وأما الغلط في العقيدة كالإشراك بالله فشيء خطير ، لأن صاحبه ضال مُضل لا سبيل إلى توبته ، ولا أمل في نجاته ، إنه يعتقد الصواب في سلوكه المنحرف الذي هو مرتسم بعقيدته الفاسدة أو تجسيد لها .

ومن هنا كان إلحاحي في الخطب الثلاث السالفة على بعض العقائد الفاسدة المتفشية بين المسلمين ، والتي تصرفهم عن العمل وتعلقهم بالأمل ، تصرفهم عن السعادة وترديهم في الشقاء ، تصرفهم عن الرضا وتسلمهم إلى حالة السخط .

مفهوم الشفاعة .

ومن هذه العقائد الفاسدة أيها الإخوة الفهم غير الصحيح لشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم . والغريب أن التعلق بشفاعة ولي أو نبي أو رسول من غير فهم سليم مرض كل المنحرفين ، الذين تشابهت أعراضه عندهم ، واختلفت أسماؤه في دياناتهم وفرقهم .

فالمسلمون وغير المسلمين اليوم يُعطون أنفسهم كل ما تشتهي ويفعلون من المنكرات والمعاصي كل مالا ينبغي ، ثم يتعلقون أو يمنون أنفسهم بشكل أو بآخر من أشكال الشفاعة ، وإليكم ما قاله الله في حقهم :

المسلمون يفعلون المنكرات ويمنون النفس بالشفاعة

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾

[سورة المائدة الآية:18]

﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

[الآية:80 سورة البقرة]

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

[الآية:111-112 سورة البقرة]

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[سورة الجمعة الآية:6-8]

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾

[الآية:113 سورة البقرة]

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾

[سورة المائدة الآية:68]

﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

[الآية:69 سورة المائدة]

الانتماء الشكلي لا قيمة له

وهذه الآية تلخص مضمون الآيات كلّها :

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً * وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيراً *وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً * وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطاً﴾

[سورة النساء الآية:123-126]

أيها الإخوة المؤمنون ؛ لقد فهم الصحابة الكرام القرآن فهماً سليماً ، فهذا سيدنا عمر رضي الله عنه يكتب إلى سيدنا سعد بن أبي وقاص ، وكان قائد جيوش المسلمين في العراق .

أيها الأخوة ؛ هل تدرون من سعد ؟

كان يقول عن نفسه :

لقد أتى عليّ يوم وإني لثلث الإسلام .

يعني أنه كان ثالث أول ثلاثة سارعوا إلى الإسلام ، وكان إذا قدم على النبي الكريم وهو بين أصحابه قال لهم النبي الكريم صلى الله عليه وسلم :

((هذا خالي ، فليُرِني امْرؤ خَالَهُ))

[أخرجه الترمذي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما]

ويقول عنه علي كرمَّ الله وجهه ، ما سمعت رسول الله صلى الله يفدي أحداً بأبويه إلا سعداً فإنه سمعته يوم أحد يقول :

((سعد ارم فداك أبي وأمي))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير عن سعد رضي الله عنه]

وقد دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

((اللهم سدد رميته وأجب دعوته))

[أخرجه الحاكم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه]

ذات يوم كان النبي جالس مع أصحابه ، نظر إلى الأفق ثم قال لهم : يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة، وبعد حين ، طلع عليهم سعد بن أبي وقاص ، لقد أعلنت أمه صومها عن الطعام والشراب ، حتى يكفر سعد بدين محمد صلى الله عليه وسلم ، ويعود إلى دين آبائه ، وقومه ، فماذا كان موقفه منها ؛ قال لها : تعلمين والله يا أمَّه لو كانت لك مائة نفس ، فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا لشيء ، فكلي إن شئت أو لا تأكلي .

ونزل بعدها قوله تعالى مؤيداً :

﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[الآية:15 سورة لقمان]

أيها الإخوة ؛ أتدرون ماذا كتب سيدنا عمر إلى سعد بن أبي وقاص ، وهذا عمله وجهاده وهذه مكانته عند الله وعند رسول الله ، وهو من العشرة المبشرين بالجنة كتب إليه :

يا سعد لا يغرنك من الله أن قيل خالُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه ، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا بطاعته ، والناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء .. الله ربهم ، وهم عباده يتفاضلون بالعافية ، ويدركون ما عند الله بالطاعة ، فانظر الأمر الذي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ بعث إلى أن فارقنا عليه فالزمه فإنه الأمر .

وقد كتب إليه وإلى أجناده مرة أخرى فقال :

إني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة في الحرب ، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة ، وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ، ولا تعملوا معاصي الله وأنتم في سبيل الله ، ولا تقولوا إن عدونا شرٌّ منا فلن يسلط علينا فرب قوم سلط عليهم من هو شرَّ منهم كما سلط على بني إسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفار المجوس فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم ، أسأل الله تعالى ذلك لنا ولكم .

فيا أيها المسلمون لا تقولوا كما قال من كان قبلكم :

نحن أحباء الله ، أمة محمد مرحومة ، الحمد لله على دين الإسلام .

﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾

[الآية:18 سورة المائدة]

ولا تقولوا لن ندخل النار ، فرسول الله حبيبنا وشفيعنا من دونها ، شفاعته حق ولكن لها شروط ، سأفصلها في خطبة قادمة ، قال تعالى :

﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

[الآية:80 سورة البقرة]

يا أيها المسلمون ، لستم على شيء حتى تطبقوا القرآن الكريم وإلا فالانتماء الشكلي لا قيمة له ، أيها الإخوة ضعوا هذه الآية نصب أعينكم :



﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً * وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيراً * وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً * وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطاً﴾

[الآية:123-126 سورة النساء]

اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأدخلنا برحتك في عبادك الصالحين .

أيها الأخوة الكرام ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وصلوا ما بينكم وبين ربكم تسعدوا ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا ، فلنتخذ حذرنا ، الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني .

1.5 الشفاعة تكون بعد التوبة والعمل الصالح

بسم اللـه الرحمن الرحيم

الشفاعة للذين تابوا من ذنوبهم

أيها الإخوة المؤمنون ؛ كان مضمون الخطبة السابقة أن الانتماء الشكلي للدين لا قيمة له عند الله ، فالخلق كلهم عند الله سواسية ، ليس بينه وبينهم قرابةٌ إلا طاعتهم قال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

[الآية:13 سورة الحجرات]



وأن المسلمين ليسوا على شيء ما لم يطبقوا القرآن الكريم ، ورأينا كيف أن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم فهموا القرآن فهماً قويماً قوَّم سلوكهم ، وأصلح سريرتهم .

لكن المسلمين اليوم أو بعضهم يفهم الشفاعة فهماً ما أراده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهم يعتقدون أو يصدقون أو لا يُنكرون أن العُصاة والمجرمين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، يذهبون وقد استحقوا النار إلى الأنبياء مستشفعين فيعتذر كل نبي واحداً بعد واحد بسبب ذنب اقترفه حتى يصلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيذهب ويسجد تحت العرش فيقال له : ارفع رأسك يا محمد واشفع تشفع ، وادخل أنت ومن معك إلى الجنة .



جميل ... وهؤلاء العصاة من غير المسلمين ما ذنبهم حتى يحرموا من الجنة بعد أن دخلها عصاة المسلمين ، وهؤلاء الطائعون من المسلمين وقد جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، وبذلوا الغالي والرخيص والنفس والنفيس من أجل أن يدخلوا الجنة ، وهاهم العصاة والفاسقون قد دخلوا الجنة مثلهم ، وإذا كان هذا صحيحاً فماذا نفعل بقوله تعالى :

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾

[سروة الزمر]

وقوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

[الآية:254 سورة البقرة]

وقوله تعالى :

﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

[الآية:281 سورة البقرة]

وإذا كان هذا صحيحاً فماذا نفعل بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها :

عن سعيد بن الْمُسَيَّبِ وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهم عَنْهم قَالَ :

((قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) قَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي]

وروى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ))

[وأبو داود والترمذي أخرجه مسلم]

وقوله صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمانع الزكاة يوم القيامة :

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهم عَنْه قال ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((تَأْتِي الإِبِلُ عَلَى صَاحِبِهَا عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ إِذَا هُوَ لَمْ يُعْطِ فِيهَا حَقَّهَا تَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا وَتَأْتِي الْغَنَمُ عَلَى صَاحِبِهَا عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ إِذَا لَمْ يُعْطِ فِيهَا حَقَّهَا تَطَؤُهُ بِأَظْلَافِهَا وَتَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا وَقَالَ وَمِنْ حَقِّهَا أَنْ تُحْلَبَ عَلَى الْمَاءِ قَالَ وَلا يَأْتِي أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِشَاةٍ يَحْمِلُهَا عَلَى رَقَبَتِهِ لَهَا يُعَارٌ فَيَقُولُ يَا مُحَمَّدُ فَأَقُولُ لا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ بَلَّغْتُ وَلا يَأْتِي بِبَعِيرٍ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ لَهُ رُغَاءٌ فَيَقُولُ يَا مُحَمَّدُ فَأَقُولُ لا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا قَدْ بَلَّغْتُ))

[وأبو داود والنسائي أخرجه البخاري ومسلم]

وقوله صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ))

[أخرجه الترمذي عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]

وقوله صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ أَبَى قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى قَالَ مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى))

[أخرجه البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه]



أيها الإخوة المؤمنون ؛ شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم حقٌّ لا ريب فيها ، ولكنها لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى ، ولو سَبقَ له أن كان من أصحاب الكبائر قال عليه الصلاة والسلام:

((شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي))

[أخرجه الترمذي وأبو داود عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه]

أما من بقي من أصحاب الكبائر ومات وهو من أصحاب الكبائر ، فإن القرآن الكريم بكل آياته ليؤكد أنه سيحاسب على عمله حساباً عسيراً .

قال تعالى :

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ * فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾

[سورة المدثر الآية:38-48]

وقال تعالى :

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾

[الآية:21 سورة الجاثية]

من فعل خيرٍ أو شر وشد إنسان إليه فله مثل أجر عمله

يا أخي المؤمن ؛ في حياتنا الدنيا وقيمها المختلة .

قد تجد من المروءة أن تشفع لمظلوم هُضمت حقوقه ، ولا يقوى على رفع شكواه .

وقد تجد من المروءة أن تشفع لمريض فقير لا يملك نفقات العلاج ، تجد من المروءة أن تشفع له عند مدير المشفى .

ولكن قل لي بربك :

هل تجرؤ على أن تشفع لقاتل عند حاكم عدل .

وهل تجرؤ أن تشفع لسارق عند قاض نزيه .

وهل تجرؤ أن تشفع لزان معتدٍ على أعراض الناس عند قاض شرعي .

وهل تجرؤ أن تشفع لطالب لا يفقه من العلم شيئاً عند أستاذ نبيه .

إخوتي المؤمنين ؛ إذا صاحب أحدنا أناساً يؤثرون مكارم الأخلاق على مفاخر المال ، ألا تجلب له هذه الصحبة جواً نفسياً جديداً يدفعه إلى أن يكون مثلهم ... إذن لقد شفعوا له .

وإذا صاحب أحدنا علماء كباراً ، ورأى من دقائق علمهم ، وحسن أدبهم ما يُدهش العقل ويحير الفؤاد، ألا تجلب له هذه الصحبة جواً نفسياً ورغبة صادقة في أن يطلب العلم ويحصله حتى يصبح مثلهم ... إذن لقد شفعوا له .

وإذا صاحب أحدنا تجاراً كباراً ، وسمع منهم عن صفقاتهم الرابحة ، ومغامراتهم الجريئة وسياراتهم الفارهة ، وقصورهم الفخمة ، ورحلاتهم الشيقة ، ألا تجلب له هذه الصحبة جواً نفسياً مشبعاً بحب المال ، ورغبة صادقة في أن يكون مثلهم ... إذن لقد شفعوا له.

وإذا صاحب أحدنا أناساً من أصحاب الأهواء المتعلقين بالشهوات الراغبين في الملذات وسمع منهم قصصاً عن مغامراتهم ، وسهراتهم ولياليهم ، ألا تجلب له هذه الصحبة جواً نفسياً مشبعاً بالرغبة في التهافت على الملذات والانغماس في الشهوات .. إذا قد شفعوا له .

لذلك قال الله تعالى في كتابه العزيز :

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً﴾

[سورة النساء]

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾

أي إذا صاحب رجل رجلاً مؤمناً ، واقتبس من إيمانه ومن أخلاقه ومن علمه ، ومن عاداته حتى صار مؤمناً حقاً ، فللأول نصيب من الأجر كبير.

وتتمة الآية :

﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً﴾

أي إذا كان الرجل من حيث عقيدته المتشككة وسلوكه المنحرف ونفسه المريضة سبباً لانحراف الآخرين وسقوطهم في مهاوي الرذيلة ، فإن عليه من الوزر مثل ما عليهم .

فالشفاعة والصحبة تعديان في الخير والشر ، ومن أقوال العارفين :

(الصاحب ساحب .. ومن جالس جانس .. ولا تصاحب إلا من ينهضك حاله ويدلك على الله مقاله)

وعلامة المؤمن الحق أنه يعدي من حوله بإيمانه وأخلاقه ، وحبه لله ورسوله .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نِعَمِهِ وَأَحِبُّونِي بِحُبِّ اللَّهِ وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي بِحُبِّي))

[أخرجه الترمذي]

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه :

أحب الصالحين ولست منهم لعلي أن أنال بهم شفاعة

اللهم ارزقنا حبك وحب من يحبك وحب عمل صالح يقربنا إلى حبك

أو كما قال .

الخاتمة : العقيدة الصحيحة

بسم اللـه الرحمن الرحيم

العقيدة أخطر ما في الدين :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ لسْتُ مُبالغًا إذا قلتُ بأنّ أخْطر ما في الدِّين العقيدة ، إنَّها إن صحَّتْ صحّ العمل ، وإن فسدَتْ أو زاغَتْ انْحرف العمل ، وسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة مُتَعَلِّقَةٌ بِصَلاح عملهِ ، وما دام صلاحُ عملهِ متعلّقًا بِسَلامة عقيدته إذًا أصلُ الدِّين أن يكون اعْتِقادُكَ صحيحًا.

أيها الأخوة الأكارم ؛ الإنسان حينما يستقي عقيدته من مصادِرَ غير مَوْثوقة أو غير مُتَحقّقة ، فيتوهَّمُ أشياء ما أنْزَلَ الله بها من سُلطان ، هذه الأوْهام الخاطئة ، وتلْك التصوُّرات الزائغة التي ينطلقُ منها إلى عملٍ منحرفٍ ربّما كان هذا العمل سبب شقائِهِ ، ولسْتُ مُستطيعًا في هذه الخطبة الواحدة أنْ أتحدَّث عن أنواع العقائد الزائِغَة ، ولكن اكتفي بِعَقيدةٍ واحدةٍ زائغة ، لا أدري كيف فشَتْ بين جماع المسلمين وهي عقيدة الجَبْر.

عقيدة الجبر :

المقصِّرون في الدرجة الأولى ، أو العُصاة ، هم الذين يعْتقدون أنّ الله أجْبرَهُم على هذه المعاصي ، وأنّهم في القضاء والقدر كَرِيشَةٍ في مهبّ الرِّيح ، وأنّ إرادتهم مَسْلوبة ، فقد كتَبَ الله عليهم الشقاء ، أو كتبَ عليهم فِعْلَ هذه المعاصي !!!



يا أيها الأخوة الأكارم ما من عقيدةٍ تشلّ الإنسان كهذه العقيدة ، ما من عقيدة تُقْعدُ الإنسان عن التوبة والعمل الصالح كهذه العقيدة ، ما من عقيدة تسري في كيان الإنسان كالسمّ في الدسم كهذه العقيدة ، أنْ تعتَقِدَ أنّ الله أجْبركَ على كلّ أفعالك ، وأنّ المعاصي هي مِن إجبار الله تعالى.

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ أليْسَ القرآن الكريم مرجعنا جميعًا في كلّ شيء ولا سيما في العقيدة؟

أليْسَت العقيدة الصحيحة تؤخَذُ من كتاب الله عز وجل وممّا تواترَ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلّم؟ كيفَ يسْمحُ الإنسان لِنَفسهِ أن يعتقِدَ ، أو أن يتصوَّر ، أو أن يظنّ ، تصَوُّرات أو ظنونًا أو اعتقادات ما أنزلَ الله بها من سلطان ؟ قال تعالى :

﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾

[سورة الأعراف : 28]

وقال تعالى :

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾

[سورة الأنعام : 148]

لِيَنْتَبِه الأخ الكريم أنّه حينما يعتقِدُ أنّ الله أجْبرهُ على المعْصِيَة أنّ هذه عقيدة أهل الشِّرْك ، بِنَصّ القرآن الكريم، قال تعالى :

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾

[سورة الأنعام : 148]

كُلُّكم يذكر أيها الأخوة أنّ الصحابة الكرام رِضوان الله عليهم أجمعين كانوا قِمَمًا في فهْم العقيدة الصحيحة ، وهذا الذي اقْتيد لِسَيِّدنا عمر ، وقد شربَ الخمر ، اقْتادوه إليه لِيُقامَ عليه حدّ الخمر ، هذا الرّجل قال : والله يا أمير المؤمنين إنّ الله قدّر عليّ ذلك !! بماذا أجابهُ هذا الخليفة العظيم ؟ بماذا أجابهُ عِملاق الإسلام ؟

بماذا أجابهُ الفاروق الذي كان يتمتَّعُ برُؤيَةَ صحيحة ؟ قال : أقيموا عليه الحدّ مرَّتين ! مرَّة لأنَّه شربَ الخمر، ومرّةً لأنَّه افْترى على الله ، قال : ويْحَكَ يا هذا ، إنّ قضاء الله لمْ يُخْرِجْك من الاختيار إلى الاضطرار ، هذا افْتراء على الله، والدليل أنَّ الآية التي تُعَدُّ أصلاً في نَفْيِ الجبْر هي قوله تعالى :

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آَبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ﴾

[سورة الأنعام : 148]

عقيدة الجبر كذب و هي من أشدّ أنواع الكذب :

ربّنا جلّ جلاله وصَفَ هذه العقيدة بأنّها كذِبٌ ، بل أشدُّ أنواع الكذب ، قال تعالى:

﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾

[سورة الأنعام : 148]



والخرَص أيها الأخوة أقْبحُ أنواع الكذب ، ألَيْسَت هذه الآية واضحةً وُضوح الشمس ؟ ألَيْسَ مَدلول هذه الآية مدلولٌ قَطعيّ ؟ لم يعْتَقِد هذه العقيدة إلا أهل الشّرْك ، ما بالُ الرّجل تسألُهُ يا أخي لِمَ لا تَتُبْ لله عز وجل ؟ فيقول : الله قدَّر عليَّ ذلك !!! لِمَ لا يقول المستقيم على أمر الله ، ولِمَ لا يقول المُحْسِن إنّ الله أجْبرني على هذا الإحسان ؟ لِمَ يتنطَّعُ أهل المعصِيَة والكفران فينْسِبُوا كفرهم ومعاصيهم للواحدِ الدَّيان ؟ لِمَ ؟!

أيها الأخوة الكرام ؛ هذا موضوع لا تتَّسِعُ له المُجلَّدات ، ولا خُطبٌ في سنوات ، ولكن أخْذ القليل خير من ترْك الكثير ، وما دعاني إلى مُعالجة هذا الموضوع الذي لا يُعالج في الأعمّ الأغلب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، بل يُعالجُ في درس عِلمي ، إلا لِشُيُوعِ هذه العقيدة ، كيف يعتقِدُ الإنسان أنَّ الله تعالى أجْبرهُ على المعصِيَة ؟ كيف يعتقدُ الإنسان أنّ الله يأمر بالفحشاء والمنكر ؟ لو أنّ الأمر كذلك لسَقَطَ الوعدُ

والوعيد ، وسأضَعُ بين أيديكم بعد قليل نصُوصًا للصحابة الكرام ؛ ولِكِبار التابعين ، وللعلماء العاملين ، تُبَيِّنُ أنَّ هذه العقيدة لا أصْل لها ، إنَّما هي مُبْتَدَعَةٌ لِيُغطِّي بها الإنسان تقصيرهُ ، وليُغَطِّي انحرافهُ ، لعلّها تُعيدُ للمُقصّر والعاصي توازُنَهُ مع ربِّه .

العقائد ثلاث :

1 . عقيدة أهل الجبر و هي عقيدة متطرفة :

أيها الأخوة الكرام ؛ هناك عقائدُ ثلاث ، عقيدتان متطرّفتان ، وعقيدةٌ وسطٌ بينهما، أما العقيدة الأولى فهي عقيدة أهل الجبر ، الذين يعتقدون أنّ الإنسان حِيال القضاء والقدر كرِيشَةٍ في مهبّ الرِّيح ، وهؤلاء يعتقِدون أنّ الله أجْبرهم على كلّ أفعالهم ، وأنَّهم مَسْلوبو الإرادة والمشيئة كليًّا ، وأنَّهم لا حيلة لهم فيما يفعلون ، هذه العقيدة تُسمَّى في عِلْم العقائِد عقيدة الجبْريِّين وهي منْفِيَّةٌ بِنَصّ الآية الكريمة التي تُعَدُّ أصلاً في نفْيِ عقيدة الجبْر ، حيث قال الله عز وجل :

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آَبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾

[سورة الأنعام : 148]

وهل تعلمون أيها الأخوة أنّ أكبر معصيَة على وجه الإطلاق هي معصِيَة قوليّة، إنما هي أن تقولوا على الله ما لا تعلمون ، أن يلقِيَ الإنسان الكلام على عواتمه ، أن يُسيء الظنّ برَبِّه ، أن يُدْلِيَ بِدَلْوِهِ في العقيدة وهو لا يدري ، أمور العقيدة خطيرة جدًّا ، لأنّ أيَّ خطأ في العقيدة ينقلبُ إلى خطأ فاحشٍ في السُّلوك ، أرأيْتُم إلى الطيار الذي يخطئ في إلْقاء القنبلة ، إن أخطأ على طائرته ميلي مترًا واحدًا ربَّما انقلبَ هذا الخطأ إلى عشرات الكيلو مترات على الأرض ، فالخطأ الطفيف في عقيدة الإنسان ينقلب إلى عملٍ فاحشٍ ، أو سُلوكٍ خطير ، أو انحراف كبيرٍ ، في حيِّز الواقع .

2 . العقيدة القدريّة و هي متطرفة أيضاً :

أيها الأخوة الكرام ؛ هذه العقيدة عقيدة أهل الجبر ، عقيدةٌ زائغة ، وعقيدة ضالَّة ، وعقيدة ليْسَ لها أصْلٌ في الكتاب والسنّة ، وأما العقيدة المتطرِّفة الأخرى فهي عقيدة القدريَّة ، الذين يزْعمون أنّ الإنسان سيِّدُ قدره ، وأنَّه خالقُ أفعاله ، وأنّه يفعَلُ ما يشاء



إنّ هذا عُدْوانٌ على مقامِ رُبوبيّة الله عز وجل ، أيضًا هذه العقيدة مَنْفِيَّة في أصل الكتاب والسنّة ، اعْتَقَدَ بها بعض المعتزلة ، وسُمِّيَتْ في علم العقائد بالقدريّة .

3 . عقيدة أهل السنة و الجماعة و هي العقيدة الصحيحة :

ولكن ما العقيدة الصحيحة ؟ ما عقيدة أهل السنّة والجماعة ؟ أنَّ الاختيار ثابتٌ في عقيدة أهل السنّة والجماعة ، الإنسان مُخَيَّر ، وذو مشيئة ، ولكنّ الفِعل فعْلُ الله عز وجل ، رُوِيَ عن أبي حنيفة النّعمان رضي الله عنه أنَّه سأل الإمام جعفر بن محمّد الصادق ، قال له: يا إمام ، هل فوَّض الله الأمر إلى العباد ؟ أيْ هل أعطى العباد قوَّةً ؟ هذه عقيدة الغربيّين ، فهُمْ يعتقدون أنّ الله خلاَّق وليس فعَّالاً ، الفِعْلُ فِعْلُهُ ، هذه عقيدة أهل الزَّيْغ ، هذه عقيدة العلمانيّين من المعتدلين ، أنَّ الإنسان خالقُ أفعاله ، وأنَّ الله أوْدَعَ في الإنسان قوَّةً يتحرَّك بها وفْق مشيئته ، هذه العقيدة ما أنزل الله بها من سُلطان ، قال له: يا إمام ، هل فوَّض الله الأمر

إلى العباد ؟ فقال الإمام جعفر رضي الله عنه : الأمْر أجلُّ من أن يُفَوّض الله الرُّبوبِيَّة إلى العباد هذا شأنُ الربوبيّة ، الأفعال أفعال الله عز وجل ، قال تعالى :

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾

[سورة الأنفال: 17]

قال تعالى :

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾

[سورة الأنفال: 17]

القرآن الكريم يؤكِّدُ أنَّ كلّ فِعْلٍ لا يقعُ في الكون إلا بِقُدرة الله تعالى ومشيئتِهِ ، قال : الأمْر أجلُّ من أن يُفَوِّض الله الرُّبوبِيَّة إلى العباد ، فقال : يا إمام ، فهل أجْبرَهُم الله على ذلك ؟ فقال الإمام جعفر بن محمّد الصادق : الله أعْدَلُ من أن يُجْبرهم على ذلك ، ثمّ يُعَذِّبهم ، فقال : وكيف ذلك ؟ قال الإمام جعفر : الأمر بين بينَ ، لا جبْرَ ، ولا تفويض ، ولا إكراه ، ولا تسليط ، الاختيار اختيارُك والفِعْل فِعْل الله عز وجل ، الأفعال أفعال الله ، وأما أسباب هذه الأفعال فهي مِن كَسْب الإنسان ، لِقَول الله تعالى :

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾

[سورة البقرة : 141]



الإمام الحسن رضي الله تعالى عنه يقول : من لم يُؤْمن بِقَضاء الله وقدره خيْرِهِ وشَرِّهِ فقد كفَرَ ، ومن حَمَلَ ذنْبَهُ على الله فقد فجَرَ ، والفاجِرُ أكبر إثمًا من العاصي ، العاصي عاصي ، ولكنّ الفاجر يعصي ويحْمِلُ ذنبه على الله تعالى ، يعصي ويقول : الله قدَّر عليّ ذلك:، يعصي ويقول : هذا ترتيب الله عز وجل ، فلذلك ومن حَمَلَ ذنْبَهُ على ربِّه فقد فجَر ، وإنّ الله تعالى لا يُطاعُ اسْتِكراهًا ، ولا يُعْصى بِغَلَبة ، لا يُطاعُ إلا اختِيارًا ، لأنَّه تعالى مالكٌ لما ملَّكهم ، وقادرٌ على ما أقْدرهم ، فإن عملوا بالطاعة لم يَحُلْ بينهم وبين ما عملوا ، وإنْ عَمِلوا بالمعصِيَة فليس هو الذي جبرهُم على ذلك ، وأنّ الله تعالى

يرْضى لِعباده الإيمان ، فإن بادروا إلى الإيمان بالله ، وإلى طاعة الله ، وإلى العمل الصالح لا يُعْقَلُ أن يحول الله بينهم وبين أعمالهم الصالحة ، فإن عملوا بالطاعة لم يَحُلْ بينهم وبين ما عملوا ، وإنْ عَمِلوا بالمعصِيَة فليس هو الذي جبرهُم على ذلك ، ولو أنّ الله سبحانه وتعالى أجْبرهم على الطاعة لسقَطَ الثَّواب، لا ثواب ولا جزاء ، ولا جنّة ولا مكافأة ، ولا فَوْز ، ولا تفوّق ، ولا فلاح ، ولا نجاح ، انتهى كلّ شيء ، لو أنّ الله سبحانه وتعالى أجْبرهم على الطاعة لسقَطَ الثَّواب ، ولو أجبرهم على المعصيَة لسقط العقاب ، كيف يُعاقبهم وقد أجبرهم على هذه المعصِية ؟ هذا كلام الإمام الحسن ، كلامٌ واضحٌ كالشمس ، ولو أهملهم لكان عجزًا في القدرة ، لو لم يقدّم لهم العلاج ، لو لم يدْفعهم إلى أبواب طاعته ، ويسوقهم إلى أبواب جنّته لكان عَجْزًا في القُدرة ، إن عملوا الطاعة فلله المِنّة عليهم ، وأنّه يسّرها لهم ، وأقْدرهم على فعلها ، وأنّ الفعل فعلهُ، وإن عملوا بالمعصيَة فله الحجّة عليهم ، وأنّ هذه القُدرة التي منحهم الله إيّاها بإمكانهم أن يُوجِّهوها نحو الطاعة أو نحو المعصِيَة.

الحظوظ حيادية :

وذكرتُ لكم كثيرًا ومِرارًا أنّ الحظوظ التي آتاها الله للإنسان إنّما هي سُلّم ترقى به إلى أعلى عِلِيّين ، أو دركات تهوي بها إلى أسفل سافلين ، إنّها حظوظ حِيادِيّة ، يمكن أن توظّف في الحق كما يمكن أن توظّف في الباطل ، يمكن أن ترقى بها ، ويمكن أن يهلك بها الإنسان ، هذا النصّ وردَ عن الإمام الحسن يقول : " من لم يُؤْمن بِقَضاء الله وقدره ، خيْرِهِ وشَرِّهِ فقد كفَرَ ، ومن حَمَلَ ذنْبَهُ على الله فقد فجَرَ ، وإنّ الله تعالى لا يُطاعُ اسْتِكراهًا ، ولا يُعْصى بِغَلَبة ، لأنَّه تعالى مالكٌ لما ملَّكهم ، وقادرٌ على ما أقْدرهم ، فإن عملوا بالطاعة لم يَحُلْ بينهم وبين ما عملوا ، وإنْ عَمِلوا بالمعصِيَة فليس هو الذي أجبرهُم ، لو أنّ الله سبحانه وتعالى أجْبرهم على الطاعة لسقَطَ الثَّواب ، ولو أجبرهم على

المعصيَة لسقط العقاب ، ولو أهملهم لكان عجزًا في القدرة ، إن عملوا بالطاعة فله المِنّة عليهم ، وإن عملوا بالمعصِيَة فله الحجّة عليهم " .

الإنسان مُخيَّرٌ بِنَصّ القرآن الكريم فمن شاء فلْيُؤْمن ومن شاء فلْيكفر :

والإمام عليّ كرَّم الله وجهه يقول :" أمرَ الله تعالى عِبادهُ بالخَير تَخْييرًا ، ونهى عن الشرّ تَحذيرًا ، ولم يُعْصَ مَغلوبًا ، ولمْ يُطَعْ مُكْرهًا ، ولم يُمَلِّك تفويضًا ، فهو أمرٌ بين بين ، لا جبر ولا تفويض " وهناك قصّة دقيقة مُعبّرة ، ذات دلالة عميقة جرَتْ بين الإمام عليّ كرّم الله وجهه ، وبين خَيْثَم من بلاد الشام ، هذا الشيخ الذي من بلاد الشام سأل سيّدنا عليًّا كرَّم الله وجهه بعد الانصراف من بعض المواقع ، قال له :" أكان مسيرنا إلى الشام بِقَضاء الله وقدره ؟ فقال عليّ كرّم الله وجهه – والنصّ دقيق جدًّا – : والذي فلق الحبّ ، وبرأ النسْمة ، ما وَطئنا موْطِئًا ، ولا هبطْنا واديًا ، ولا علَوْنا تلعةً إلا بِقَضاء وقدر ، فقال الشيخ : عندئذٍ أحْتَسِبُ خُطايا ما أرى لي من الأجر شيئًا ! فقال الإمام عليّ كرّم الله وجهه – قال له قبل ذلك : عظَّم الله أجركم في مسيركم ، وأنتم سائرون ، وفي منْصرفكم وأنتم منصرفون – : لعلّك أيها الشيخ إنّما ظَنَنْتَ قضاءً لازمًا ، وقدرًا حاكمًا ، لو كان كذلك لبطلَ الثواب والعقاب ، وبطل الوعْد والوعيد ، وبطل الأمر والنهي ، فلم تكن لائمةٌ لِمُذْنب ، ولا محْمَدةٌ لِمُحسن ، ليس هناك لوْمٌ على المذنب لأنّه مجبور ، وليس هناك فوزٌ للمحسن لأنّه مقهور .

لو كان الأمر كذلك لم تكن لائمةٌ لِمُذْنب، ولا محْمَدةٌ لِمُحسن ، ولما كان المحْسن أولى بثواب الإحسان من المسيء ، ولما كان المسيء أولى بِعُقوبة الذنب من المحسن ، لا ينبغي أن يُجاز المحسن ، ولا أن يُعاقب المسيء ، لأنّ كليهما مَقهور مَجبور ، الإمام علي يقول : تلك مقالةُ عبَدَةِ الأوثان– الحقيقة الإنسان حينما ينحرفُ أشدّ الانحراف ، حينما يخرج عن منهج الله ، وحينما

يتّبعُ شهواته ، لا يجِدُ عقيدةً تخفّف من روْعه ، وتخفِّفُ من انهياره الداخلي إلا عقيدة الجبر ، يقول : الله قدَّر عليّ ذلك ، كأنّه يُعْفي نفسهُ من هذه المسؤوليّة ، وكأنّه يلقيها على قضاء الله وقدره – وحزب الشيطان ، وشُهود الزور ، وأهل العمى عن الصّواب ، وهم قدَرِيَّة هذه الأمّة ومجوسها ، إنّ الله تعالى أمرَ عبادةُ تَخْييرًا، ونهى تحذيرًا ، وكلَّف يسيرًا ، ولم يكلّف عسيرًا ، ولم يُعْصَ مغلوبًا ، ولم يُطَع مسْتكرهًا، ولمْ يرْسل الرُّسل إلى خلقه لعبًا ، ولم ينزّل الكتب عبثًا ، ولم يخلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً ، ذلك ظنّ الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار" .

خلاصة هذه النصوص ، وتلك الأفكار ؛ أنّ الإنسان مُخيَّرٌ بِنَصّ القرآن الكريم ، من شاء فلْيُؤْمن ومن شاء فلْيكفر ، قال تعالى :

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ﴾

[سورة الإنسان : 3]

قال تعالى :

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[سورة البقرة : 148]

الإنسان يوجه أفعاله ليرقى بها أو ليهوي بها :

لو أنّ الله أجْبرَ عباده على الطاعة لبطل الثواب، ولو أنّهم أجبرهم على المعصية لبطل العقاب ، ولو أنّه تركهم لكان عجْزًا في القُدرة ، الفِعْلُ فِعْلُ الله ، والكسبُ كسبهُ ، أوضحُ مثلٍ على ذلك أنّ الإنسان إذا لطم يتيمًا ، هذا اللّطم إن كان بِنِيَّة التأديب ، لأنّ النبي عليه الصلاة والسلام حينما سئل عن ضرب اليتيم قال : اضْرِبُه ممّا تضربُ منه ولدك ، فإذا لطمَ وليّ اليتيمِ اليتيمَ لِذَنْبٍ فاحشٍ اقْترفهُ بِنِيّة تأديبه وإصلاحه فقد كسب الطاعة ، وإذا لطمَ الإنسان اليتيم بِنيّة إيذائِهِ فقد كسب المعصيَة

، فالفِعْلُ واحد ، والفعل فعلُ الله ، والقدرة التي أوْدعها الله في عضلاتك على لطْم اليتيم هي من الله ، ولكنّ الإنسان باختياره إما أن يجعل من هذا اللّطْم طاعةً يرقى بها ، وإما أن يجعل من هذا اللّطْم معصيَةً يهوي بها ، لو أنّ إنسانًا رأى مبلغًا من المال في الطريق فانْحنى لِيَلْتَقِطَهُ ، هذا الانحناء ، وهذه الحركة ، وهذا الالتقاط من قدرة الله عز وجل ، إذا نوى أن يُعيد هذا المبلغ إلى صاحبه ، هذه طاعة يرْقى بها ، وإذا نوى أن يغتصب هذا المال، فهذه معصيةٌ يهوي بها ، فالفِعْلُ واحد ، والإنسان يوَجِّهُ هذا الفعل الذي هو من خلق الله عز وجل إما إلى الخير ، وإما على الشرّ ، إما لِيَرقى به ، وإما لِيَهوي به .

قِصَّة تبْرزُ أنّ الإنسان مخيّر :

أيها الأخوة الكرام ؛ أحدُ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم هو الطُّفَيْل بن عمرو الدَّوْسي له قِصَّة تبْرزُ أنّ الإنسان مخيّر ، قال هذا الصحابي الجليل : قدِمْتُ مكّة فما إن رآني سادة قريش حتى أقْبلُوا عليّ فرحَّبوا بي أكرم تَرْحيب ، وأنْزلوني فيها أعزّ منزل ، ثمّ اجتمعَ إليّ سادتهم وكُبراؤُهم ، وقالوا : يا طُفَيل ، إنَّك قد قدِمْتَ بلادنا ، وهذا الرجل الذي يزْعمُ أنَّه نبيّ قد أفْسدَ أمرنا ، ومزَّقَ شملنا ، وشتَّتَ جماعتنا ، ونحن إنَّما نخشى أن يحِلّ بِكَ وبِزَعامتك في قومك ما قد حلَّ بنا ، فلا تكلّم الرّجل ولا تسْمَعَنَّ منه ، فإنّ له قولاً كالصّخر ، يفرّقُ بين الولد وأبيه ، وبين الأخ وأخيه ، وبين الزوجة وزوْجها ، قال الطُّفَيْل : فوالله ما زالوا بي يقصُّون عليّ من غرائب أخباره ، ويُخَوِّفونني على نفسي وعلى قومي بِعَجائبُ أفعاله حتى أجْمعْتُ أمري على ألا أقترب منه ، وألا أكلّمَهُ أو أسْمَعَ منه شيئًا ، ولمّا غدَوْتُ إلى المسجد للطواف بالكعبة، والتبرّك بأصنامها التي كنّا إليها نحجّ ، وإياها نعظِّم ، حَشَوْتُ في أذني قطنًا خوفًا من أن يُلامسَ سمعي شيئًا من قول ، لكنّي ما إن دخلْتُ المسجد حتى وجدْتهُ صلى الله عليه وسلّم قائمًا يُصلّي عند الكعبة ، صلاةً غير صلاتنا ، ويتعبَّدُ عبادةً غير عبادتنا فسرَّني منظرُهُ ، وهزَّتني عبادته ، ووجدْتُ نفسي أدْنو منه شيئًا فشيئًا على غير قصْدٍ مِنّي ، حتى أصبحْتُ قريبًا منه ، وأبى الله إلا أن يصل إلى سمعي بعض مِمَّا يقول : وسمعتُ كلامًا حسنًا ، وقلتُ في نفسي – دقّقوا فالاختيار هنا – : ثكلتْكَ أمّك يا طفيل إنَّك رجلٌ لبيب شاغف ، لا يخفى عليك الحسن من القبيح ، وما يمنعُك أن تسمع من الرجل ما يقول ؟ فإن كان الذي يأتي به حسنًا قبِلْتهُ، وإن

كان قبيحًا تركْتهُ ، فقال الطّفيل : ثمّ مكثْتُ حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلّم إلى بيته فتبِعْتُهُ حتى إذا دخل دارهُ دخلْتُ عليه ، فقلتُ : يا محمَّد ، إنَّ قومك قد قالوا لي عنك كذا وكذا .

المحتويات